الإحتلال الأمريكي في الرواية العراقية

عندما تكون المقاومة الثقافية بديل المقاومة المسلحة

هل المقاومة الثقافية بديل للمقاومة العسكرية في ظروف الاحتلال الأجنبي؟ سؤال ضمني من مجموعة اسئلة يمكن أن نتساءل بها في ظرف معقد كهذا الظرف الطارئ في حياة الشعوب . ولا شك في أن الاحتلال الأمريكي للعراق وما تبعه من تداعيات كثيرة أوجد فيضاً من الإستفهامات أمام محنة الثقافة العراقية بشكلها العام في كيفية دحر الاحتلال الأمريكي عبر المقاومة الثقافية المتحضرة التي تستبعد العنف وتلجأ الى وسيلة فنية معبّرة من شأنها أن ترتقي بهذا البُعد الحضاري وهو يستلهم من مقاومة الشعب بشتى صنوفها معانيه الفنية والإبداعية.

وارد بدر السالم

علي بدر

عواد علي

جمال حسين

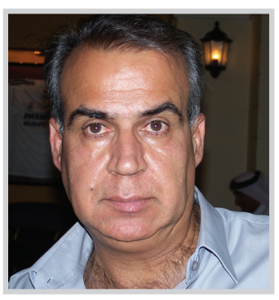
طه شبيب

أدب المقاومة ليس غريبا على الثقافة العربية عامة ، فلنا في الأدب الفلسطيني المحتلة أمثلة كثيرة بدءاً من روايات غسان كنفاني وحتى قصائد محمود درويش كعلامات بارزة في هذا الميدان . وفي معظم البلاد العربية نشأ هذا النوع الأدبي وهو يقارع الاحتلال والاستعمار في الجزائر والعراق ومصر وسوريا ولبنان وكل الوطن العربي الذي خاض نضالات مختلفة في سبيل حريته. وحتى في العالم كان هناك أدب نوعي يتقصى اثر المقاومة العسكرية بالكلمة النافذة ، بالقصيدة ، بالرواية ، بالقصة ، وشاعت أسماء مهمة في الآداب العالمية في ألمانيا والاتحاد السوفيتي السابق وفرنسا فكتب همنغواي عن الحرب الأهلية الإسبانية وكتب فيركور رائعته الشهيرة " صمت البحر" عن المقاومة الفرنسية وكتب الألماني ريمارك اروع رواياته في هذا الإطار .

ورغم حداثة الأدب العراقي في ميدان أدب الحرب والمقاومة إلا أنه تمكن من أن يؤطر تجربته بهذه الثيمة عبر سنوات الحروب التي مرت به فكان أدب الحرب علامة من علامات الثقافة العراقية لعقدين من الزمان ، لم تُدرس جيداً لأسباب ليست مجهولة عبّرت عن ضيق أفق إيديولوجي لدى البعض ووعيد ساذج لإلغاء مرحلة عصيبة من تاريخ الثقافة العراقية ، فيما أخذت المقاومة الثقافية تتصاعد وتائرها أخيراً في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق عبر خمس سنوات من الاحتكاك المباشر به كبديل مقترح للمقاومة العسكرية وتجنب العنف المسلح والدعوة الى فضح ما يجري في الأحشاء العراقية من تدمير وتحزب طائش وتخريب طال كل شيء ، بما في ذلك تخريب الإنسان وإخضاعه الى مستوى من اليأس لا قبل للعراقيين به على مر تاريخهم .

روايات المرحلة

يمكن التوقف عند ست روايات عراقية تمركزت موضوعاتها حول قضايا اللحظة الاجتماعية والسياسية والعسكرية عبر أكثر من مستوى فني عالجت فيه مشكلة الاحتلال وتداعياته النفسية والاجتماعية والمتغيرات الجوهرية التي عصفت في بُنية المجتمع بمساحاته العامة .وقد تكون لنا الكثير من الملاحظات في المقاربات النقدية بين هذه الروايات من حيث المعاملة الفنية ، لكننا فضلنا الاستعراض الأولي لروايات اجتهدت أن تنبني على محور واحد هو الساحة العراقية بوجود قوات أمريكية محتلة ؛ والروايات الست هي (حارس التبغ) لعلي بدر و(حليب المارينز) لعواد علي و(بنات يعقوب) لمحمود سعيد و(الحفيدة الأمريكية) لأنعام كجه جي و(أموات بغداد) لجمال حسين علي و(مقامة الكيروسين) لطه حامد الشبيب . والملاحظ أن خمساً من هذه الروايات كُتبت بعين المراقب الخارجي مع أن أحداثها تدور في بغداد بعد سنة ٢٠٠٣ أي أن الرائي هو راء خارجي قدم الى العراق بعد الاحتلال واستبصر الحال الجديدة التي وُصفت بالانهيار المطلق ، فيما كانت رواية " مقامة الكيروسين" تنتجه الى الداخل وتحاكم المرحلة السابقة عبر قضية الدجيل المعروفة!

أموات في المشرحة

" أموات بغداد" قدمت رؤية ملحمية لواقع ما بعد الاحتلال عبر مشرحة الطب العدلي في العاصمة استثمر فيها الروائي كل معطيات العلوم الحديثة كالطب والتشريح والجينوم ليحيط بفاجعة الاحتلال عبر حبكة روائية مزجت بين الواقع والخيال والمعرفة العلمية والأدبية في أجرأ نص روائي عراقي عن الاحتلال الأمريكي كُتب حتى الآن .. ولا شك في ان جمال حسين علي استثمر وجوده في بغداد كمراسل صحفي قادماً من موسكو واقترب من الفجيعة العراقية بعد غربة دامت عشرين عاماً وهي الغربة التي أدت الى انقطاعه عن النشر طيلة تلك الأعوام ، لكنه يعود الآن بجدارة روائي محترف في (أموات بغداد) برمزية عالية يوحيها العنوان بوصفه عتبة النص ومدخله . ولنا أن نلاحظ أن أموات بغداد هي مشرحة بغداد في الطب العدلي وهنا تدور رحى الرواية وتكشف هول الفاجعة العراقية التي سببها الاحتلال والميليشيات الطائفية والعصابات الإجرامية التي وجدت طريقها الى الانفلات بغياب السلطة وتفكك الدولة.وهذه الرواية الجريئة بتفصيلاتها الواقعية والفنية اضافة نوعية الى الرواية العراقية ، وهي احدى العلامات البارزة في ثقافة ما بعد التاسع من نيسان ؛ كونها تمكنت من ان تقف على النتائج في أبشع صورها الدراماتيكية وهي المشرحة التي كانت تستقبل يوميا مئات الجثث للمدنيين .

الموسيقار القتيل

أما "حارس التبغ" فهي تنويع فني بطريقة البحث الصحفي عن حقائق موسيقار عراقي اختطف ووجدت جثته مرمية قرب نهر دجلة عام ٢٠٠٦ لتكشف لاحقاً عمق التغريب لهذه الشخصية الفريدة في تحولاتها السوداوية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار حينما تقمصت ثلاثة اسماء وثلاث شخصيات وهي التحولات التي وردت في ديوان "دكان التبغ" للشاعر البرتغالي فيرناندو بيسوا والذي اعتمده الروائي مفتاحاً لحل لغز الموسيقار القتيل في لعبة دائرية امتدت من المنطقة الخضراء الى طهران ودمشق وهي لعبة الشخصيات والأقنعة ولعبة السياسة وأقدارها المتلاحقة في كل مكان ، ولو لم يكن علي بدر قادراً على التحكم بضبط ايقاع الرواية لأنفلتت منه الكثير من معايير الفن الروائي ، وقد ذكر المؤلف لوكالة رويترز أنه سافر إلى بغداد وطهران ودمشق بتمويل من مؤسسة ألمانية للبحث عن الوثائق الخاصة بمقتل هذا الموسيقار ومقابلة الشخصيات التي عرفته وقال : "لم تكن شخصية البطل وحدها لعبة من الأقنعة المتغيرة والأسماء المستعارة مثل قصيدة بيسوا، إنما الحياة برمتها هي لعبة من الهويات المنتحلة والأقنعة المتغيرة، أما الرواية فتكشف عن زيف الهويات وتحولها ..في الوقت الذي تصر فيه الحرب الأهلية على وجود هوية جوهرية واحدة ..تنطلق أحداث هذه الرواية من المنطقة الخضراء في بغداد، حيث يكلف أحد الصحفيين التحقيق في مقتل الموسيقار، وأثناء عملية البحث يتم الكشف عن أسرار المافيات السياسية والعصابات، كما أنها تكشف عن العوالم السرية لحياة الصحفيين والمراسلين وأسمائهم المستعارة. تنتمي هذه الرواية إلى أدب ما بعد الكولنيالية في تكذيب سرديات الهوية، والسرديات الاستعمارية، وتستخدم تقنيات الرواية التسجيلية والأوتوفكشن وأدب الرحلات".

حليب المارينز

ولا يختلف عواد علي في " حليب المارينز" عن غيره من الروائيين في تقديم صورة الرائي الخارجي وهو يدخل العاصمة المحتلة قادماً من كندا ليدفع فدية مالية كبيرة للذين خطفوا شقيقه ، ومن هذا الحدث تتسع الرواية لترى المشهد الجديد من زوايا نظر مختلفة ،فالشخصية المثقف مهاجر عاش حربين ووقع أسيراً ثم لجأ الى كندا . ومن رؤية المثقف العائد قسراً تنفتح الرواية وتتفحص تداعيات الاحتلال وما تركه من أذى نفسي في المجتمع العراقي انعكس في سلوكيات الكثيرين الذين تحولوا أطيافاً تتناهبها شعارات المرحلة الجديدة في تشابك وجهات النظر عبر سرد متعاقب لشخصيات الرواية وتعاقب أصواتها الموزعة بين العراق وكندا.

بنات نبوخذنصر

أما "بنات يعقوب" فهي رواية ذات بناء ملحمي تدور أحداثها في بابل خلال الأعوام الأخيرة من حكم الملك نبوخذ نصر وتكشف عن الدور اليهودي في القضاء على الحضارة البابلية والدمار الذي لحق بها على يد العيلاميين. لكن الروائي يضعنا في القسم الأول منها بطريقة الروائيين الآخرين نفسها حينما يضع شاهدهُ القادم من خارج العراق في قلب العاصمة المحتلة ليرى ما لم يره ، وكما يبدو أن لا علاقة بهذا الفصل بالنسق الروائي العام ، غير ان الرواية تقدم مقاربة سردية محايثة للرؤية التوراتية في تعاملها مع الآخر وتنطلق من تهشيم الكثير من الأساطير المتوارثة التي قدمتها التوراة اليهودية في سياق روائي متماسك وعبر ملحمة ضخمة جداً وهي تستقدم التاريخ البابلي بأحداث بانورامية دقيقة الصنعة ، وأرى هنا أن الروائي حينما وضع فصله الأول في قلب العاصمة وهو يدخلها بعد غربة طويلة كأنما يريد استحضار الماضي البعيد ويعمل مقاربة فنية منطقية لأحداث الأمس وارتباطها بما يجري الآن ، مع تبدل الشخصيات والتواريخ والأمكنة في رمزية عالية المستوى تأطرت بملحمية عراقية تمكن محمود سعيد من انجازها على وجه دقيق .

الحفيدة الأمريكية

ربما تكون رواية " الحفيدة الأمريكية " من أكثر الروايات العراقية التي لامست الواقع بتحولاته الكبيرة حينما قدمت تراجيديا مركبة وبشخصيات أكثر تركيباً ، مستثمرة "النوع" المستخلص من واقع مشتبك بمعالمه الجديدة المتولدة جراء الاحتلال ، فـ"زينة" في الرواية هي أمريكية لكنها من اصول عراقية مهاجرة ، لكنها تعود الى العراق مع الجيش الأمريكي كمجندة ، وعندما تعود الى مرابع نشأتها الأولى وترى جدتها التي تمثل الذاكرة الوطنية تقع في حب أخيها بالرضاعة وهو من عناصر جيش المهدي ! هذه الفتاة التي عادت الى بلدها مع الجيش المحتل كانت عبارة عن فتاتين أمريكية وعراقية وهنا تكمن المفارقة في تقديم هذه الشخصية المركبة ، وإذ تنجح كجه جي في رسم ملامح هذه الشخصية وتركيبتها النفسية تنجح الرواية في طرح أكبر تراجيديا سوداء يعيشها العراق حتى الآن ، كما تنجح الرواية في أن تقيم علاقة قهرية بين زينة واخيها المفترض الذي لم تره من قبل في صراع نفسي غاية في الدقة وتسلط الضوء على أكثر الجوانب قتامة في المجتمع المحتل.

الكيروسين

بعد روايته " حبال الغسيل" يطلعنا طه حامد شبيب على روايته "مقامة الكيروسين" كرواية من الواقع العراقي المحتل ولكن باتجاه مغاير لبقية الروائيين حينما يغادر منطقة التصوير المباشر الى منطقة المعتقل عبر موقعة الدجيل الشهيرة ويبني افتراضاته الكثيرة من سجلات الواقع الذي تكشف له بعد الاحتلال في تضاعيف هذه الموقعة التي سُردت بمخيال واقعي اقترب من الوثيقة وابتعد عنها في الوقت نفسه في تعددية سردية تعاقبت عبر عدد من الأصوات . ولم تكن واقعة الدجيل الا جزءاً من الرواية كما قال المؤلف في احدى الندوات واصفاً روايته بأنها جاءت (لتعالج الاحتلال) بين قبوله أو رفضه!.

متابعة

دور المسرح في المجتمع العراقي في حلقة نقاشية في العاصمة البريطانية

زينب الجواري / لندن

في إطار التعاون المشترك بين مؤسسة (مسرحيون) و(الديوان الثقافي العراقي) عقدت الحلقة النقاشية الاولى حول دور المسرح في المجتمع العراقي وذلك على قاعة الديوان الثقافي العراقي في لندن، وسبق الحلقة عرض لمسرحية (الموت والعذراء) التي عرضت على المسرح الوطني في بغداد بمناسبة تأسيس الفرقة القومية للتمثيل، وشاركت في مهرجان دمشق المسرحي، وهي من تأليف الإيطالي العالمي ارنيل دوفمان، وإخراج الفنان إبراهيم حنون.

وحضرت نخبة من الجالية العراقية لمشاهدة العرض كي تقف على واقع المسرح العراقي وفي الوقت نفسه أثرت النقاش الذي دار لأكثر من ساعتين دون ملل ضمن الدائرة المستديرة، ما اتاح الفرصة للجميع بالتحدث وجها لوجه ودون خوف أوتردد أو إحراج ولان الجمهور وعلى جميع المستويات الفكرية تكون لديه رغبة في التعبير عن الرأي إلا أن الحاجز الذي صنعه المترفعون والواهمون بإشكالية النزول إلى الجمهور أو صعودا لمتلقين إليهم كان يمنعهم من ذلك، لكن مؤسسة (مسرحيون) في بريطانيا ردمت هذه الجدران ودعت العوائل لتكون هي الأساس في عملية إدارة النقاش والوقوف على أهم الإشكالات وقد تدخل وداخل في المحور المذكور عدد مهم من الحضور كما أنهم توسعوا إلى فضاءات أخرى. إن فكرة الصالون ودعوة الأسرة العراقية الى البيت المسرحي بضيافة الديوان الثقافي العراقي لهي تجربة أكثر من ناجحة ما شجعت الديوان الثقافي العراقي و(مسرحيون) على المضي قدما في مواصلة عقد المزيد من الندوات والحلقات النقاشية لاثراء الموضوع.

وقد أثيرت اثناء الحلقة الكثير من المحاور ومنها:

– كيف يمكن إدخال المسرح في المدارس كدرس للتعليم والتثقيف

– السبل والوسائل التي تمكن المسرحيين من المصالحة مع المتلقي الذي هو عمود العمل المسرحي وإمكانية حضوره الدائم كتقليد حضاري.

– تشجيع كتاب النص المسرحي بتناول الاوضاع الراهنة في العراق ومحاولة معالجتها أو طرحها كسؤال كوني.

– تقديم عروض مسرحية في لندن ترتقي إلى المستوى العالمي في المستوى الفني.

– إقامة ورش للناشئة وتعريفهم بأهمية المسرح.

– تنشيط مسرح الطفل عبر العروض أو المشاهد التي تدعوه إلى خشبة المسرح.

وهناك الكثير الذي يصعب حصره، كان مدار بحث الجمهور مع بعض المعنيين من مؤسسة (مسرحيون) وبحضور رئيس الديوان الثقافي الدكتور حسين أبو سعود.

مدير دار ثقافة الأطفال:

تخصيصات متواضعة وحلم بافتتاح مدرسة الفنون الجميلة

لقاء /أفراح شوقي

أعلن مدير عام دار ثقافة الأطفال عن قرب الاستعدادات النهائية لافتتاح أول مدرسة للفنون الجميلة في العراق والوطن العربي، تعنى برعاية مواهب الأطفال في سن مبكرة في جميع انواع الفنون،إضافة الى المنهج التربوي الأساسي وبشكل يماثل ما معمول به في مدرسة الموسيقى والبالية لكنها تتميز باستيعابها لكل إشكال الفنون.

وقال حبيب ظاهر العباس في حديثه ل(موقع ورق) ان المشروع الجديد هو حلمي الكبير ويتميز بأنه فريد من نوعه، على مستوى الوطن العربي وهو يبدأ باحتضان مواهب الطفل ورعايته في سن مبكرة(ست سنوات) ما يسهم بخلق قاعدة ثقافية وفنية واسعة،علاوة على عدم هدر الطاقات المتميزة للصغار ، وأضاف: انه تم إعداد الخطط التربوية والفنية والمناهج الدراسية لهذه المدرسة ونحن بانتظار التخصيصات المالية للبدء بالمشروع، و ستكون المدرسة تابعة لدار ثقافة الأطفال ومعترفاً بها من قبل وزارة التربية وهي بمثابة شريكتنا الرسمية في المشروع، والبداية ستكون بإنشاء مدرسة واحدة في بغداد، وبالإمكان التوسع بالتجربة فيما بعد.

وفي معرض رده على النشاطات التي تحققت للدار فيما يخص الطفولة منذ تسنمه مسؤولية إدارتها قال:برغم التخصيصات المالية المتواضعة لهذه الدار، فنحن مبتلون بمبدأ التمويل الذاتي وهو يشكل عقبة كبيرة أمام تنفيذ العديد من المشاريع التي تصب في مصلحة الطفولة واحتضان ورعاية مواهبها وطاقاتها ومدها بمبادئ الثقافة والانتماء للوطن والتسامح ونبذ العنف نقول اننا عمدنا الى تنفيذ برامج جديدة ، منها منهاج (ربيع الأطفال) في النصف الثاني من العام الدراسي الحالي ، واستقطب أكثر من (٢٠٠) طالب وطالبة أسبوعيا من مدارس المحافظة على حدائق متنزه الزوراء،بالتنسيق مع مديريات التربية ، ونظمنا فيها الكثير من الفعاليات مثل الخطابة والرسم والموسيقى والمسرح وغيرها من اشكال الفنون، وقد هيئت لهم المخيمات وادوات اللعب والمرطبات والهدايا التي وزعتها بعض منظمات المجتمع المدني وشركات الاتصالات. ونقيم الان دورات صيفية للأطفال في المركز الثقافي للطفل في منطقة المنصور،تحت شعار (سلامتك اولا) وتستمر لمدة ثلاثة أشهر، ويتضمن منهاجها برامج ثقافية وفنية وترفيهية في فنون الرسم والمسرح والموسيقى وتعليم اللغة الانكليزية والحاسوب فضلا عن دورة للصحفي الصغير، كما تتضمن ندوات أسبوعية للحوارات المفتوحة للأطفال، وسرد قصص الأنبياء، على أيدي أساتذة مختصين ومشرفين تربويين وتستقبل تلك الدورات جميع الطلبة من الاعمار (٧-١٤) سنة، وهو المكان الامثل لاكتشاف ورعاية مواهب الاطفال ومحاولة التواصل معها عبر استقبالها في جميع المناسبات والفعاليات الفنية داخل وخارج القطر وهو جزء من مشاريع الدار في رعاية الموهوبين، ونسعى ايضا الى تنشيط فعاليات كل مراكز الأطفال في المحافظات وعددها(٨) مراكز حتى الان، ووجهنا خطابات الى مجلس الوزراء لاستحصال موافقات على شرعية هذه المراكز كما هو الحال في البيوت الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتي نسعى الى ان تشمل كل محافظات العراق.

حبيب ظاهر العباس

ويكمل العباس حديثه قائلاً :بسبب عدم كفاية التخصيصات المالية للدار قمنا بالتوجه نحو منظمات المجتمع المني والشركات لاجل دعم نشاطات الدار، ومن تلك الشركات شركة كلمات للاتصالات.

غياب مطبوعات مجلتي والمزمار

وعن مطبوعات الدار من كتب وإصدارات دورية تخص الطفل ومنها مجلتا (مجلتي والمزمار) وانحسار توزيعها في الآونة الأخيرة قال:حققت الدار من خلال مطبوعاتها حضوراً متميزاً حافظ على مكانته بين العشرات من العناوين المخصصة للطفل، عبر إصدارات تحاكي التطورات الجديدة التي طرات على الطفل وبيئته والأساليب المثلى للتعامل مع تلك المتغيرات، على أيدي نخبة من ابرز كتاب القصة والشعر والسيناريو في العراق، لكن قلة المطبوع منها جعلها شحيحة في المكتبات، فقد كانت مجلتي والمزمار تطبع مليون نسخة في الأسبوع، لكنها خفضت بسبب قلة التخصيصات المالية الى ١٥ ألف نسخة فقط!!فكيف سيكفي هذا العدد لتصل لمتناول جميع الصغار ، فلو قمنا بتوزيع المطبوع على مدارس العراق فسيحصل كل طالب على أقصوصة صغيرة من المجلة، هناك من يعتقد انها متوقفة عن الصدور لكن ماذا نفعل؟؟كذلك الحال مع تواضع تقنية طباعة والوان إصدارتنا، ما ينعكس على رواج المطبوع. وماهو دور وزارة التربية في دعم نشاطات الدار؟ بصراحة أقول ان هناك إهمالاً متعمداً للثقافة بشكل عام وعدم التنبه لدورها في بناء الأجيال الفاعلة في المجتمع. ووزارة التربية تعتبر شركتنا الشرعية لكنها شراكة عقيمة ومعدومة، فما تمارسه اليوم في منهجها التربوي يغيب دور الثقافة في سلوكيات الطلبة وتوجهاتهم وتهمل وبشكل متعمد لمعظم حصص الرسم والموسيقى والرياضة والفنون الاخرى.ويعدونها في معظم المدارس حصصاً لإكمال المنهج التربوي او التقوية او حتى حصص التنظيف!!هل هذا معقول، الفنون تتداخل مع العلوم بل وتدعمها ايضاً، فالقصيدة الصعبة مثلاً تصبح سهلة عندما تلحن مثلاً، والمفروض ان يتم تخصيص قاعة للموسيقى والرسم لرعاية مواهب الصغار وتأكيد مبادئ هذه الفنون بما يتماشى مع دورها الكبير في حضارة وتطور الشعوب.

وحول اتهام البعض بأن الدار يراسها من هو غير الاختصاص ما اثر على سلامة الأداء قال :انا عاتب على جريدتكم لانها اوردت بحقي وزملائي اتهامات بأني الرجل غير المناسب في قيادة الدار كوني من غير ذوي الاختصاص، وقد فوجئت بما جاء واستطيع القول اني الابن الشرعي للدار، فخدمتي الوظيفية خلال أربعين عاماً قضيتها في مديرية النشاط المدرسي،والمعروف ان النشاط المدرسي يعنى بكل النشاطات المتعلقة بالطفل كالمسرح والموسيقى والغناء وغيرها، كما ان اختصاصي الموسيقي وظفته لاغاني الطفل، اذ قمت بتلحين (٤٠) اوبريتا وحوالي (١٠٠) نشيد للصغار،كما اشرفت لاكثر من ٢٠ عاماً على المئات من الفعاليات المعدة للطفل وشاركت بها في مهرجانات عربية ودولية، والاهم من ذلك كله ان دراستي الاكاديمية والعليا خصصتها للطفولة واستثمرتها فيما بعد للإعداد لكيفية التعامل مع الطفل ومحاكاة نفسيته وميوله.

اوراق

البنية الأيقونية للعقل العربي (٣)

شاكر لعيبي

لنعُدْ لسؤال عمودينا السابقين عينه كي يكون لهذه الكلمة معنى: هل ما زالت الثقافة العربية، تتعاطى الصورة image بوصفها عالماً لا – موضوعياً، بعيد المنال عقلياً، بل عالماً يقع بالأحرى في نطاق الشعوذة والأسطورة والخرافة؟. هل يكشف هذا الأمر، لو صحَّ، بنية من بنى العقل العربي ما زالت اللحظة مستورةً قليلاً؟.

في السياق الذي تناولته المادتان السابقتان من عمودنا، تُروى الحكايتان العربيتان التاليتان الدالتان للغاية: في غرفة ملكية في مدينة بابل تُحرس صور مدن المملكة جميعاً (ربما المقصود خرائطها المرسومة). تُعاقب المدينة التي لم تكن تدفع الضرائب عبر تمزيق صورتها من طرف الملك ليغطيها الطوفان في النهاية. الحكاية الثانية تقول إن الملك الإيراني شيرويه (أو قباد جلس على عرش الدولة سنة ٦٢٨م) كان قد بعث للنبي محمد رساماً ومنجماً. نفذ الرسام بورتريها للنبي فوضعه شيرويه، لدى عودة مبعوثيه، على مخدته. وعندما كان المنجم يريد أن يقول إنه لم ير شيئا في حضرة النبي يستحق عملا من طرفه لاحظ في بلاط الملك علامة تدل على الفأل السيئ: بورتريه النبي محمد كان موضوعاً على مخدة الملك وهو دليل على انتصار قريب للنبي.

حتى وقت لاحق لم يتغير كثيرا هذا الموقف الطلسمي السحري الطقوسي من الصورة. في كتب الطلاسم والاوفاق، المنشورة والمخطوطة، ثمة الكثير مما يبرهن على ذلك، ففي عمل منسوب لمؤلف من القرن الحادي عشر الهجري ثمة تخليط بين العالم الممثل له بالصورة والعالم الفعلي. إنه ينصح بقص طرف من ورقة على هيئة شكلين بشريين، امرأة ورجل، وكتابة بضع جمل تقود إلى الشفاء، أو التقريب بين الشخصين، لغاية الزواج أو المحبة بين الزوجين. هذا الطلسم يفيد بجلب الهارب والسارق أيضاً. فكرة الصورة التي (تجلب) و(الجلب) ليست غريبة عن الممارسة الثقافية الشعبية والصوفية الأقل شعبية في العالم العربي والإسلامي. وفي المعتقدات الشعبية فإن (يد فاطمة) أو (الخَمسة) تمتلك طاقة سحرية لإبعاد الحسد. إننا نعرف أن الخليفة المتوكل (٨٤٧–٨٦١) قد فرض على أهل الذمة من مسيحيين ويهود تعليق "تصاوير للشيطان" على أبواب دورهم. هذا الإيمان قد اختفى رويدا رويدا لدى المسلمين المعاصرين دون اختفاء يد فاطمة البتة، فليس نادرا أن نجد الآن في خارج البيوت قرني غزال، وهو عمل تمثيلي ذو غايات سحرية لا شك بذلك.

الإيمان بوجود السحر يسمُ بعمق وعي فئة واسعة في العالم العربي، وهنا تَقع الصُّورة في قلب هذا السحر. بينما تصير فكرة وضع العمل التصويري المرسوم بمستوى الحياة ذاته والتي تعتبر الشخوص المرسومة جزءاً عضويا من العالم الفعلي هي فكرة ناشطة، وما زالت حاضرة في جميع طبقات الوعي في المجتمع العربي. أن قصص ألف ليلة وليلة تسمح بمقاربة معقولة لذلك، ففي الليلة الثانية عشرة تؤوِّل الصورة دور الكائن الحي. فالتجار المسلمون في بلاد الكفار يرون صورة رجل على حائط. عندما اقتربنا منها، يقولون، تحركت الصورة وقالت: [...] لقد أنطقني الله لكي تكونوا أكثر صرامة مع الأعداء، ابتعدوا عن بلاد الكفار.

وفي الليلة ١٦٠ من طبعتنا، يختلط الواقعي والحلمي بطريقة تامة. يستدعي الوزير، بين آخرين، رساما ويطلب منه أن يرسم على جدار القاعة صورة صياد يصطاد أنثى الحمام بحيث يُرى منقارها في الفخ. وعندما يُنهي الرسام ما طلب منه، يقول له الوزير أن يرسم بعد ذلك الجدار الآخر من القاعة الصورة ذاتها لكن برسم الحمامة وقد وضع الصياد سكينته على رقبتها، وليعمل إلى جانبها طائرا كاسراً وهو يلتقط بمخالبه ذكر الحمام.

وفي حكاية أخرى يرويها المؤرخ ابن حجة الحموي (١٣٦٦– ١٤٣٤م) فإن صورة العاشق تحل محل حضوره الفعلي، ويذكر نقلاً عن الجاحظ أنه التقى براهب اهتدى للإسلام وعند سؤاله عن سبب اختياره للإسلام ذكر الراهب قصة فتاة مسيحية كانت تعيش في الدير الذي يعمل به، وحدث أنها أحبت فتى مسلماً، إسكافياً، ولم يكن يحبها رغم غواياتها له بمالها وجمالها. ولكي يبعدها عنه غيّر الفتى طبائعه مقررا عدم المرور بالدير. عندما استنفدت الفتاة كل وسائلها طلبت من رسام ماهر رسم صورته محاطة بدائرة (بهالة!). ومنحت الرسام مئة دينار (وهو مبلغ كبير بقياس ذلك الوقت ويشير، بشكل استثنائي ونادر، إلى أسعار الأعمال الفنية التصويرية خاصة). كانت الصورة جد باهرة ومؤثرة بحيث لم يكن ينقصها سوى الكلام، يقول الجاحظ دوماً، ولطول تحديقها في الصورة سقطت الفتاة صريعة. ويذكر الجاحظ أن الصورة التي أراها الراهب إياه، قد أوصلته إلى حافة الجنون. بالنسبة للفتاة فإن بقاءها وحيدة مع الصورة قد دفعتها لتعليقها على الحائط وتقبيل المواضع التي تحب لدى محبوبها ثم الاندفاع بالبكاء. وطيلة شهور لم تتوقف عن تقبيلها كل مساء إلى اليوم الذي مرض فيه الفتى ليموت أخيراً. فتقوم الفتاة بإقامة عزاء له لم ير مثله. لم تتوقف الفتاة عن تقبيل البورتريه ولتسقط ميتة بدورها جوار الصورة. الصور سبب من أسباب مصارع العشاق. في (مقاتل العشاق) رواية مشابهة.

الهيمان بصورة من الصور، والسقوط بحبها حرفياً ، هو أمر لا نعدم أمثله كثيرة له في التراث العربي الإسلامي.

اعتبر التصوير الفوتوغرافي في العالم العربي للحظة سحراً حراماً، ففي القرن التاسع عشر اعتبر التصوير الفوتوغرافي في العالم العربي عملاً من أعمال الشيطان أيضاً. ويُعتقد أن والي القاهرة كان قد طرد وطارد أوائل المصورين الأوربيين في عام ١٨٣٩ ولم يتردد عن وصف الفوتوغرافيا بعمل شيطاني. وعندما كان المصور الفوتوغرافي الفرنسي كليران Clairin، وكان صديقا للممثلة سارا برنار Sarah Bernard ، يقوم بالتقاط صوره في المغرب عام ١٨٧١ لم يتفهم الناس (نواياه). بضع حكايات طريفة تتعلق بعداء المسلمين للصورة المعتبرة سحراً كان قد رواها بكثير من الغرائبية pittoresque والمبالغة رسامون كثر، خاصة دولاكروا، ورحالة أوربيون ممن كانوا يزورون الشرق في نهاية القرن التاسع عشر.